«فَخَرُّوا»

تأليف: جيمس ل. ماي

أتى المجوس من المشرق بحثاً عن الطفل يسوع. كانوا قد ساروا مسافة طويلة لكي يسجدوا لملك اليهود المولود جديد. «وأتوا إلى البيت ورأوا الصبي مع مريم أمه. فَخَرُّوا وسجدوا له... » (متى ٢: ١١). الكلمة التي ترجمت إلى «سجدوا» في هذا النص هي من الكلمة اليونانية «پروسكونيو προσκυνεω» وهي الكلمة اليونانية المستخدمة عادة في العهد الجديد لتعني «سجود» أي السجود أمام شخص وتقبيل قدميه أو هدب ثوبه أو الأرض، إلخ؛ ... سجود توقيراً لشخص.

عندما يكون هذا السجود والتوقير نحو الله يكون له معنى روحي عميق. استخدم يسوع والمرأة السامرية عند البئر هذه الكلمة عندما كانا يتحدثان عن المكان المناسب للعبادة والقصد منها (يوحنا ٤: ٢٠-٢٤).

الكلمة التي تم استخدامها بنسبة أقل في العهد الجديد هي «لاتريا λατρεια» وتُترجم عادة إلى «عبادة؛ أو خدمة» والتي تستخدم عند القيام بالطقوس الدينية التي تشمل على خدمة الله أو عبادته. الكلمة الموازية لهذه في العهد القديم تستخدم عادة عند الإشارة إلى القيام بخدمات خيمة الاجتماع أو الهيكل. تشير الرسالة إلى أهل فيلبي٣: ٣ إلى الطريقة التي يخدم بها المسيحيون الله في تباين مع عمل الختان الجسدي. تستخدم الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٢[1] هذه الكلمة بمفهوم العهد القديم لطقوس المَقْدَس. استخدم يسوع هاتين الكلمتين في جملة واحدة عندما جاوب إبليس على طلبه بان يخر ويسجد له (متى ٤: ٩ و١٠).

استخدم الشيطان الكلمة «پروسكونيو προσκυνεω» في الآية ٩. وأجاب يسوع قائلاً: «... للرب إلهك تسجد {پروسكونيو προσκυνεω} وإياه وحده تعبد» {لاتريوس λατρεια} (الآية ١٠). كان يسوع يقول بان هذا النوع من العبادة يجب أن تكون موجهة لله وحده.

يذكر الكتاب المقدس السجود أمام الله أكثر من خمسين مرة. كان السجود لله يتم عادة بالسجود بوجه تقابل الارض. هذا النوع من التواضع يشمل على وضع الوجه في أدنى مستوى ممكن حتى على التراب.

سجود القلب شيء ضروري

عندما أعلن موسى وهارون أن الله قد سمع صراخ الإسرائيليين وانه كان سيخلصهم من عبودية المصريين «خَرُّوا وسجدوا» (خروج ٤: ٣١). عندما تحدث موسى عن الفصح «خَرَّ الشعب وسجدوا» (خروج ١٢: ٢٧).

بعد ما كسر موسى لوحي الحجر اللذين كانت الوصايا العشر مكتوبة عليهما، رجع إلى الجبل ليلتقي مع الله مرة أخرى. فنزل الرب في السحاب واجتاز قدام موسى معلناً حضوره: «الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء ... فأسرع موسى وخَرَّ إلى الأرض وسجد» (خروج ٣٤: ٥-٨).

نقرأ في الأصحاح ٢٩ من سفر أخبار الأيام الثاني أن الملك حزقيا قد رمَّمَ الهيكل وفتح أبوابه للعبادة لأول مرة بعد عدة سنوات. بعد انتهاء أول محرقة، «خَرَّ الملك وكل الموجودين معه وسجدوا. وقال حزقيا الملك والرؤساء

[1] أنظر الكتاب المقدس ترجمة «كتاب الحياة».

للاويين أن يسبحوا الرب ... فسبحوا بابتهاج وخَرُّوا وسجدوا » (٢٩: ٢٩ و٣٠).

وفي مناسبة أخرى مدونة في الأصحاح ٢٠ من سفر أخبار الأيام الثاني تلقى الملك يهوشافاط الخبر بان الموآبيين والعمونيين والمعونيين قد أتوا ليحاربوه (الآيتين ١ و٢). رجع إلى الله وأعلن الصوم في جميع يهوذا (آية ٣). فاجتمع شعب يهوذا في أورشليم ليطلبوا العون من الله؛ فوقف يهوشافاط في وسطهم وبدأ يصلي. وعندما أنتهى من صلاته، حل روح الرب على يحزئيل، فقال: « ... لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لأن الحرب ليست لكم بل لله » (آية ١٥). وأوصى يحزئيل النبي الشعب أن يخرجوا إلى أقصى الوادي أمام برية يروئيل ويقفوا لينظروا خلاص الرب (الآيتين ١٦ و١٧). واختتم حديثه بقول: « ... لا تخافوا ولا ترتاعوا. غداً اخرجوا للقائهم والرب معكم » (آية ١٧). وبعد ذلك، « خَرّ يهوشافاط لوجهه على الأرض وكل يهوذا وسكان أورشليم سقطوا أمام الرب سجوداً للرب » (آية ١٨). ثم وقف اللاويون وسبحوا الله بهتاف عظيم (آية ١٩).

في الوقت الذي بدى فيه كل شيء على ما يرام في إسرائيل، تلقى عزرا النبي خبر غير سار مفاده: حتى الكهنة واللاويين ورؤساء الشعب قد انتهكوا وصايا الرب إذ تزاوجوا مع شعوب الأراضي (عزرا ٩: ٢). فتحير عزرا وجلس صامتاً حتى وقت ذبيحة المساء؛ ومن ثم جثى على ركبتيه وبسط يديه إلى الله وصلى. وفيما بعد جمع عزرا الشعب ليقرأ لهم الشريعة. عندما فتح سفر الشريعة، وقف جميع الشعب. وبارك عزرا الله. وأجاب الشعب: آمين، آمين رافعين أيديهم وخَرُّوا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض (نحميا ٨: ٥ و٦).

نرى مثال آخر للسجود في سفر أيوب. عندما تلقى أيوب الخبر بانه قد فقد كل شيء في كوارث متتالية، قام « ومزق جُبّته وجَزّ شعر رأسه وخر على الأرض وسجد » (١: ٢٠). هذا ما لم يتوقعه الشيطان. فمن المثير للعجب انه بعد ما قدم الشيطان ليسوع مجد العالم أراد أن يعبده يسوع ساجداً أمامه (متى ٤: ٩).

لا ينبغي ان نتعجب ان الذين في السماء تم تصورهم بانهم يسجدون بهذه الكيفية. الشيوخ الأربعة والعشرون الذين يسجدون للجالس على العرش إلى أبد الآبدين يخرُّون قدامه ويطرحون أكاليلهم أمام عرشه (رؤيا ٤: ١٠). في سفر الرؤيا ٧: ١١ نقرأ أن الملائكة مع الشيوخ الأربعة والعشرون والحيوانات الأربعة « خرُّوا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله ». وبعد أربعة أصحاحات نرى أن الشيوخ الأربعة والعشرون على عروشهم « خروا على وجوههم وسجدوا لله » (رؤيا ١١: ١٦).

سجود القلب مترادف مع العبادة

العبادة لا تتطلب دائماً السجود، لأن العبادة هي سجود. هل هذا يعني ان العبادة يجب أن تكون دائماً باعتكاف وصرامة؟ كلا! نجد العبادة التي بحسب الكتاب المقدس أحياناً كاحتفال فرح. في المزمور ٩٥: ١-٦ ذُكر الترنيم وهتاف الفرح والتقدم أمام الله بالحمد في مفهوم النص نفسه مع السجود والركوع.

عندما سمع شعب يهوذا الذين رجعوا من العبودية إلى أورشليم قراءة الناموس، بكوا. فقال لهم عزرا ونحميا واللاويون: « هكذا اليوم مقدس للرب إلهكم لا تنوحوا ولا تبكوا ... اذهبوا كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لمن لم يعد له لأن اليوم إنما هو مقدس لسيدنا ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم » (نحميا ٨: ٩ و١٠). كان ذلك وقت للاحتفال. وجاء وقت السجود فيما بعد، بعد سبعة أيام من العيد. وفي اليوم الثامن كان هناك اعتكاف (نحميا ٨: ١٨) حيث صاموا وارتدوا المسوح والتراب على أجسامهم ليعترفوا بخطاياهم وعدم جدارتهم. (نحميا ٩: ١).

في الأصحاح السادس من سفر صموئيل الثاني نقرأ عن حدث وقع عندما كان تابوت العهد يُنقل على أكتاف الكهنة إلى أورشليم. كان داود قد أعَدَّ بصفة خاصة مظلة للتابوت. عندما اجتازت المسيرة بيت داود في طريقها إلى الخيمة « كان داود يرقص بكل قواه أمام الرب. وكان داود متنطقاً بأفود من كتان » (آية

١٤). فرأته ميكال زوجته يرقص واحتقرته. لا يبدو أن ميكال انزعجت بسبب الرقص أو الاحتفال بل بسبب الكيفية التي إرتدى بها داود. ظنت بان ثيابه لا تليق بالملك. لقد اتهمته بانه تكشف في أعين عبيده كما يفعل أحد السفهاء. قال أحد المعلقين: «إساءة داود في عيني ميكال لم تكن بسبب الرقص بل في انه جرد نفسه من ثيابه الملوكية وظهر أمام شعبه في ملابس من هو أدنى منزلة». من الواضح أن ميكال أعتبرت أفود {أي رداء} الكتان الذي كان يرتديه الكهنة أصلاً (خروج ٣٩: ٢-٧)، أقل من كرامة داود الملوكية. كانت تفضل ان يعرض داود بفخر ثوبه الملوكي وإكليله ويسير بعظمة في مقدمة الموكب. لقد عكست فخر السلوك غير الديني لأبيها شاول الملك السابق. ولكن داود ارتمى بنفسه في الاحتفال. لقد قصد أن يلبس زي التواضع، أي الزي الكهنوتي لحاملي التابوت. لأول مرة بعد سنوات كثيرة صار لإسرائيل وجود الله بتابوت العهد. أحس داود بعدم القيمة في رهبة حضور إله الكون. احتفال بلا سجود قد يكون تكبر.

السجود هو سلوك وليس شكل

إذن هل ينبغي أن نخر على ووجوهنا على الارض عندما نأتي إلى حضرة الله؟ طرح كين نيلر سؤلاً هاماً: «ماذا تفعل إذا وجدت نفسك في حضره الله عينه؟» لا أدري ماذا أفعل، ربما يصيبني الاغماء، ولكن أتمنى أن أفعل ما فعل يوحنا في رؤيا ١: ١٧.

في يوم الرب كان يوحنا «في الروح» (رؤيا ١: ١٠). يعتقد عادة انه عندما يكون الشخص في الروح هو عندما يكون في قمة النشوة الروحية، مثل عندما يتكلم الشخص أو يصلي بوحي الروح القدس. (أنظر حزقيال ٣: ١٢-١٤؛ أعمال ٢٢: ١٧). سمع يوحنا صوتاً من ورائه يقول له أن يكتب ما كان يراه في كتاب. فالتفت لينظر الذي كان يتكلم فوجد نفسه في حضرة ابن الإنسان نفسه. سقط يوحنا الرسول عند قدميه كالميت. السجود هو وضع طبيعي للذي يتقدم إلى إله السماوات والأرض.

السجود لا يعرف الشعور بالخجل في حضور الآخرين.

أني اتفق وجاك هايفورد عندما قال:

> ... بقدر ما هو ممكن القيام به في التأملات الروحية الشخصية، فان احتمال السجود على الوجه هو غير عملي ولا مطلوب وغير موصى به بصفة عامة عند اجتماع المؤمنين معا. ولكن هناك صورة السجود المطلوب دائماً وهي عدم الكبرياء وتملق الناس واكرام الناس على حساب المشاركة في عبادة قلبية مليئة بالروح والحياة ومعبر عنه جسدياً.

مهما كان وضع الجسم - ان كان بالانحناء أم برفع اليدين أم بالجلوس أو الوقوف - لا بد أن يكون القلب دائماً في وضع السجود.

أتذكر في الماضي عندما كان الذين يقودون الصلاة كانوا يركعون على ركبهم. احد الاشخاص كان يخرج إلى الممشى ويركع على ركبة واحدة عند نهاية المقعد. وآخر يجث على ركبتيه بجانب منبر الوعظ عندما يقود الكنيسة في صلاة. علق الفرد قيبس على اتضاع العابد في تثنية ٢٦: ٥-٩، إذ يقول:

> لم يكن هناك مجال للفخر بالجنس، أو المكان أو النعمة. كان اعترافه هو: «أرامياً تائهاً كان أبي». لم يعطى نفسه أي «اعتبار» ولا تعظم النفس ولم يكن له اي سلوك فيه التكبر عندما كان يدخل إلى حضرة الله. لم ينبغي أن يكون هناك تمجيد النفس، اظهار شيء بغيض، أي الجسد الذي قال عنه المسيح انه «لا يفيد شيئاً» (يوحنا ٦: ٦٣).

استنكار يسوع للعابد المتبكر ظاهراً في المثل الذي قاله في إنجيل لوقا ١٨: ١٠-١٤. إنسان واحد في ذلك المثل وهو الفريسي شكر الله انه ليس كالإنسان الآخر الذي جاء ليصلي. كان الفريسي معجباً جداً بنفسه بدلاً من ان يشعر برهبة في حضرة الله. لقد تكبر «ببره» في حضرة الله، بينما العابد الآخر، أي العشار لم يشاء أن يرفع عينه نحو الله. بل قرع على

صدره وتوسل إلى الله أن يرحمه. ذهب العشار المتواضع إلى بيته مرضياً لله بدلاً من الفريسي المتكبر. سيرفع الله العُبَّاد المتضعين (يعقوب ٤: ١٠).

الخلاصة

العابد المتكبر في المثل الذي أعطاه يسوع قارن نفسه مع شخص بدلاً من أن يقارن نفسه مع الله. عندما نقارن أنفسنا مع الله، نسقط على ركبنا. العبادة الحقيقية تنزع عنا الأبهة والكبرياء. العبادة التي ترفع النفس تطالب بوفاء احتياجات الشخص أو تصر على تضمين الأشياء المفضلة للشخص ليست هي عبادة على الاطلاق.

كانت المشكلة التي رأها بولس بين المسيحيين في كورنثوس هي الأنانية. الأشياء التي يفضلها مختلف القادة جعلت المسيحيين ينقسمون (١ كورنثوس ١: ١٢ و١٣). الاصرار على الحقوق الشخصية جعلهم يقبلون الأعمال اللا اخلاقية، يجرون بعضهم البعض إلى المحاكم، ويشاركون في أكل اللحوم المقدمة للأوثان بينما لا يهتمون بضمير الآخرين (١ كورنثوس ٥؛ ٦؛ ٨). قد حثتهم الأنانية لأن يظهروا عطاياهم الروحية المعطاة من قبل الله في منافسة مع بعضهم البعض (١ كورنثوس ١٢-١٤). كانوا يجدفون أيضاً على العشاء الرباني بالتشديد على شهيتهم عوضاً عن التركيز على ذكرى الرب (١ كورنثوس ١١: ١٧-٣٤). توبيخ بولس الموحى به لا يترك مجالاً للشك في وجهة نظر الله بخصوص عبادتهم: «ولكنني إذ أوصي بهذا لست أمدح كونكم تجتمعون ليس للأفضل بل للأردأ» (١ كورنثوس ١١: ١٧).

حتى الملائكة يغطون وجوههم أمام الله (إشعياء ٦: ٢). والذين في السماء يخرون ويسجدون له (رؤيا ٤: ١٠؛ ٧: ١١). فكيف يمكن لنا نحن البشر أن نتقدم إلى الله بأية طريقة أخرى؟ أحتفل، ولكن أحتفل بالتواضع، وبقلب ساجد! احتفل بالنصر في يسوع؛ ولكن أعرف ثمن ذلك النصر، واتضع بنفسك أمام الذي دفع الثمن. (أنظر فيلبي ٢: ١٠ و١١).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧